أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية ـ مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة ـ جامعة باتنة1 ـ الجزائر
EISSN 2800-1435 ISSN 2773-2940 المجلد 05 العدد 02 (سبتمبر، 2023) ص61 إلى 76

الاستشراف بين الرواية العربية والغربية المعاصرة

دراسة مقارنة بين رواية 1984 لجورج أورويل ورواية حكاية العربي الأخير2084 لواسيني الأعرج

Anticipation in the Contemporary Arab and Western Novel :A Comparative Study: George Orwell's Novel 1984 and Wasini Al-Araj's The Tale of the Last Arab 2084

محمد بوزياني [*1]، حميد بوحبيب [2]

[1] جامعة الجزائر2، مخبر الترجمة والمصطلح mohamed.bouziani@univ-alger2.dz

[2] جامعة الجزائر2، مخبر الترجمة والمصطلح، hamidbouhbib@yahoo.com

تاريخ الإرسال	2023/07/27	تاريخ القبول	2023/09/12

ملخص

يتناول هذا المقال موضوع الاستشراف في الرواية العربية والغربية المعاصرة على حد سواء لدى مبدعين مختلفي الجنسية، أي بين الكاتب الإنجليزي جورج أورويل في مدونته 1984 والكاتب الجزائري واسيني الأعرج من خلال عمله حكاية العربي الأخير 2084، حيث كان لكل كاتب وجهته الخاصة ورأيه الخاص عن حياة المستقبل. ومن خلال هذا قمنا بعقد مقارنة بين مختلف الأفكار التي تكونت في ذهن الكاتبين حول ما سيحدث في المستقبل، استجلاء لمواضع الاختلاف والائتلاف بينهما وكذا تتبع حقيقة النبوءات الواردة في الروايتين، هل تجسّدت على أرض الواقع استنادا على أهم المقولات الفلسفية التي تعنى بالاستشراف ومعادلة الزمن وأدب الخيال العلمي ، وتوصلنا في بحثنا هذا إلى وجود تقاطعات كثيرة وتناص بين الروائيين .

الكلمات المفتاحية: الاستشراف ؛ أفق الافتراضية؛ النبوءة؛المقارنة؛ التأثير .

Abstract:

The current study explores the issue of anticipation in the contemporary Arab and western novel alike among creative writers of different nationalities. Through the masterpieces of both writers George Orwell's "Novel 1984" and Wassini Al-Araj's "The Tale of the Last Arab 2084", each writer had his own perspective and his own opinion about the life of the future. The study attempts to compare different ideas formed in the minds of both writers about what will happen in the future. It also aims at clarifying the areas of disagreement and alliance between them, as well as tracing the truth of the prophecies contained in both novels. Based on the most important philosophical statements concerned with forecasting and anticipation, the equation of time, and science fiction, has it been embodied in reality? Hence, in the research, we found out many intersections and intertextualities between novelists:

Keywords: Foresight; Hypothetical horizon; Prophecy; Comparison; Influence.

* المؤلف المرسل : محمد بوزياني

1.مقدمة

تعد التجربة الروائية تجربة ثقافية مغربة، تستظهر في بنائها الفني-إلى جانب جماليتها- محيطها الثقافي وأطرها الفكرية المؤسسة لها. فمن خلالها يستطيع القارئ استيعاب زخم الحياة خلال فترة زمنية محددة بقضاياها المطروحة وإشكالياتها العالقة. وقد غدت الرواية بهذا أرضا خصبة لتوضيح المفكر فيه، ووسيلة لمجموعة كبيرة من الخطابات التي يدغمها المبدع مع بعضها بما يتوافق ورؤيته للحياة بغية التواصل مع غيره.

الكثيرون يقرون اليوم بأن جنس الرواية قادر على تصوير المشهد الغربي والعربي على حد سواء في تحولاته المختلفة، حيث استطاع في فترة زمنية قياسية أن يرصد ماضي الأمم وحاضرها ومستقبلها. ولأن الرواية كينونة زمنية، يسجل من خلالها الكاتب زمنه النفسي في الزمن الكوني على حد تعبير بول ريكور ولأن المستقبل بما هو زمن الاحتمال والتوقع وزمن الأمل والانتظار أهم زمن نفسي، فقد عبرت الرواية عنه في منجزها السردي بأشكال وصيغ متعددة، فانسكبت لغتها باتجاهه حاملة في ذاتها رؤية معينة وتنبؤا مخصوصا له، فالرواية العالمية نص اتجه بوعيه الفني وإمكاناته إلى استشكال ما فكرت فيه الذات الإنسانية من موقعها الحضاري والثقافي، عبر زمنها المحكوم بالقادم، والمنعكس داخل النص في شكل افتراضات فنية سردية.

يعود اهتمامي بموضوع التجربة الروائية وأفق الافتراضية إلى كون الظاهرة الأدبية ما لبثت تنفتح على حقول معرفية متعددة حيث بدأت تطرح أسئلة جوهرية حول العالم الذي اخذ في التطور المعرفي الواقعي والافتراضي، فتبادر إلى ذهني عقد مقارنة بين نتاجين أدبيين مختلفي الجنسية، خاصة وأن الأمر يتعلق بواسيني الأعرج، أحد أشهر الروائيين الجزائريين المعاصرين، الذي خاض تجربة مماثلة لأدباء الغرب وعلى رأسهم جورج أورويل حيث تقاطع معه في المقاومة بالقلم ضد كل أنواع الظلم والاستبداد.

من خلال الروايات التي كنا نتعقب تشكيلاتها الزمنية، ورؤاها المستقبلية المختلفة، تحسسنا حكمة بعض مؤلفيها، وسعة فضاءات تجاربهم، وكذا منطلقاتهم الفكرية المسؤولة عن طبيعة هذا الأفق الافتراضي إيجابا أو سلبا، ولأن هذه الرحلة التأملية التي تقودها لذة التطلع والنظر بعيون الآخرين قد صاحبها اليوم ما يؤطرها أكاديميا فيثريها ويعززها، و يرسم لها الطريق بمعالم علمية واضحة، فسنحاول من خلال هذا المقال أن نتقصى طبيعة هذه

الرؤى وأصولها وأبعادها النصية ودلالاتها للكشف عن أوجه الاختلاف وأوجه الشبه بين رؤية الذات العربية و رؤية الذات الغربية للأحداث التي ستقع في المستقبل و بحثها عن أفق غائب. وهذا ما جرنا إلى التساؤل الآتي: هل تحققت النبوءات التي حذر منها كل من جورج أورويل في روايته 1984 وواسيني الأعرج في مدونته حكاية العربي الأخير2084»؟ ومن أجل ذلك ولتفكيك هذه الإشكالية بغية الوصول إلى إجابة لما سبق، قمنا بطرح مجموعة من التساؤلات جاءت وفق النحو التالي:

هل يمكن اعتبار رواية حكاية العربي الأخيرلواسيني امتدادا لرواية 1984 لجورج أورويل أم أنها تمثل ردا بالكتابة وسردا مضادا لما ذهب إليه جورج أورويل؟

وما هي أوجه التشابه والاختلاف في روايتي أورويل وواسيني؟

وتكمن أهمية هذا الموضوع في السعي الى تسليط الضوء على النص الروائي المنتمي إلى بيئتين مختلفتين باعتباره دالا ثقافيا مستشرفا، وهذا بالإضافة إلى محاولته الكشف عن تشكلات الأفق الافتراضي وتمظهراته ودلالته السياقية، وذلك إيمانا منا بأن ما يحفظه التاريخ من إبداع روائي يسجل بيد المبدع، ويوطن بقلم الباحث، وهو ما من شأنه أن يفتح آفاقا لا حدود لها في مجال الدراسات الأكاديمية.

2. مفهوم أفق الافتراضية :

ورد في لسان العرب لابن منظور فيما يتعلق بمعنى أفق من خلال هذا التوظيف اللغوي للمفردة حسب المعاجم العربية أمكن القول بأنّ مصطلح الافتراض وصل نفسه بالمستقبل من خلال الشرط فالافتراضي/الفرضي، يقابله: الاشتراطي/ الشرطي عندما يقال عن فرضية إنها كاشفة يجب أن يفهم من ذلك أنها تسبق الكشف، وإنها لهذا السبب فاعلة وتتميز من الفرضية التي تلي الكشف ولا تدخل التنسيق إلا بعد حين إحداهما مصدر حركة، ثانيتهما منتهاها; (لالاند،2001) .

ومن هنا تصبح الفرضية تحمل معنى تسبيق الفكر على التجربة لتصل المصطلح بعدها بالافتراضية واستشراف المستقبل الذي يعتمد على أساليب الاستشراف العلمي التي تقوم على فهم الماضي والحاضر والعوامل المختلفة التي أدت اليه وذلك في ضوء المعرفة المستمرة

للواقع المدروس ،ولذلك فان الاستشراف العلمي لأبعاد المستقبل يتوقف على كم ونوع المعرفة العلمية المتوافرة عن الواقع (الرحمن، 1988) .

أما من الناحية الأدبية: فالافتراض هو رؤيا جامحة في ثنايا المستقبل، رؤيا فكرية وأدبية وإبداعية تقفز فوق شرفات متعددة، فالاستشراف قفزة فوق المسلمات السائدة، قفزة تكشفها رؤيا الأديب الفنان ورصدها قبل وقوعها لتسكب ضوء فوق جسد الأحداث والتحولات (العكيمي، 2010) . وهو ما يعني أنه أفق فكري معرفي مكون للنص بمختلف تجلياته مرتبط ببعد زمني هو المستقبل كما أنه اصطلاح يشير إلى بيئة فلسفية معينة أخذ منها، وإلى نظرة خاصة للوجود والكون. ولأن معادلة الافتراضية تقتضي منا اقتفاء أثر المصطلح منهجيا والتأسيس له بشكل أفضل وجب علينا ربطه بميدان عمله ومعرفة التقاطعات مع عديد القوى الفاعلة فيه والمنفعلة به لمعرفة كيفية اشتغاله. إذ نجد أن الفلسفة استنبطت لنا مصطلحين دقيقين وقويين هما: فضاء التجربةو أفق التوقع (ريكور، 2006) فقوتهما مستمدة من مدلوليهما المتعلقين بتأويلية الزمان التاريخي، فالتجربة تحيلنا إلى ذلك الفعل الإنساني السابق عن حاضره و إلى الممارسة التي تقوم بها ملكات العقل لاكتساب معارف لا تتضمنها طبيعته من حيث هو ذات عارفة، فإذا انصبت هذه الممارسة على ما يجري خارج الذات العارفة كانت التجربة خارجية كما في الإدراك، و إذا ما انصبت على ما يجري داخل الذات العارفة كانت التجربة داخلية كما في الشعور (يعقوبي، 1979) ليتحول بذلك المكسب المعرفي إلى ملكة (habitus) . ومن ناحية أخرى اعتبر هايدغر الزمان أفقا لإدراك الوجود في العالم هايدغر، 1993، صفحة 2) .

.وبالنظر في الاصطلاح الثاني، فلا أبلغ منه في التعبير عن حالات الانسان إزاء المستقبل من فزع وترقب وأمل وتوقع ... وغيرها من الحالات التي تدخل في فلكه.وهو مصطلح جيء به لتعويض الافتراضية ليكون المقابل المعرفي لفضاء التجربة.

والملاحظ على الاصطلاحين أنهما متلازمان وأن القاسم المشترك بينهما هو المنظور الزمني،

1.2.منطلقات الافتراضية : و هي الأسس المتبصرة التي لطالما استند اليها العربي في اتصاله بالمستقبل ، فعن طريقها رهنه و جعله حاضرا في ذاته ،و بها استطاع أن يربط حاضره باللاحق من الزمن ،فهي العلل الأولى للافتراضية ،أما صورها فقد جاءت موزعة وفق المنطلقات الآتية :

.**1.1.2 المنطلق اللغوي :** اللغة هي وعاء الفكر ، و هي مثوى الوجود مثلما قال هايدوجر و هي السبيل الوحيد للمرء في اكتشاف العالم حوله ، إذ لا رابط له بالوجود دونها لأن العالم و مهما كان غنيا لن يدرك إلا بما قد سمي منه ، فاللغة نمط من التذهن الذي يطبع في الذات منذ أول اتصال للمرء بها ،و عليه فقد تعدى دورها اختزال و تصنيف ما نبصره أو نسمعه ... إلى تشكيل تفكيرنا أو الطريقة التي ننظر بها الى ما حولنا (الدين، 2002، صفحة117) إزاء كل شيء و حتى نظرتنا إلى المستقبل نظرا لأهميته في حياة الإنسان و على سبيل التمثيل لا الحصر نجل حضورا للغة العربية في إطار علاقتها بالزمن و بحسن تعبيرها اللذين استوفت بهما الحق في أن ننعتها بلغة المستقبل (حروف السين سوف ، أن المصدرية ، ظروف الزمان إذا الشرطية... متى، أيان ظرفان يسأل بهما عن الزمن المستقبل...

2.1.2. المنطلق الديني : و أقصد بالدين ما كان وضعا إلهيا سائقا لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال و الفلاح في المآل (النهانوي،1996 ، صفحة 814) فهو بذلك يعبر عن رؤية كونية تشرح كيفية و سبب الخلق و آلية الثواب و العقاب ، و كيفية تنظيم شؤون العالم ، و لاتصال العربي بالدين – خاصة الإسلام – فقد أدرك أهمية المستقبل ،

فبمثل ما هو زمن الدعاء هو أيضا زمن انتظار النبوءة ، و زمن القبر و اليوم المنتظر بل و أبعد من ذلك زمن الحساب ، زمن الجنة و النار .

3.1.2. المنطلق الثقافي : و هو المسؤول مما سنستخلصه من حياة العربي و ممارساته اليومية التي كان يقوم بها قديما ، و المعبرة عن إطار اجتماعي حاكم و مناخ ثقافي سائد متحكم في هذه الأعمال و الممارسات المتصلة بالمستقبل ، التي من شأنها ان تعطينا لون اللاحق المنتظر الذي لا طالما تشوفه العربي و استبصره و كذا خصائصه العامة التي تلونه ، لأن الإيمان بالمستقبل و هو الغائب المنتظر أو اللاحق المستبصر من شأنه أن يتدخل في صناعة الاحداث الواقعة أو التي ستقع .

4.1.2. المنطلق الأدبي : الأدباء من طليعة الأمم و من أعينها الثاقبة التي ترى من خلالها واقعها و مستقبلها ، فهم رواد المناطق البكر التي لم يسبق إليها أحد و مخترعوها الذين لطالما حاولوا استكشاف الأفق و التطلع إلى بعيده ، و تبعا لذلك صار الادب لمن يريده الأرض المرتفعة عمن دونها ، و التي فوقها يستطيع تشوف و تبصر الآتي و التنبؤ به مع

أدبائها ، و اليد المعينة التي تموقع نفسها فوق الجبين لحد المد و تدقيق المدى بغية استشعار ما سوف يفضى إليه الواقع من أحداث ورؤى.

2.2. الافتراضية في النص السردي: لعل موضوع الافتراضية من الموضوعات المطروقة والتي أثارت فضول الأدباء والروائيين العالمين على مختلف توجهاتهم، أخذت نصيبها من كتاباتهم مثل: جورج أورويل، بوعلام صلصال وواسيني الأعرج ...وغيرهم. ولما كانت الافتراضية فعلا لذات في الزمن تهدف به الى استباق معرفة لاحق مغيب انطلاقا من معطيات سابقة ماثلة في حاضرها، فإن تمظهرها على مستوى النص السردي سيكون مصاحبا للذوات الفاعلة في الزمن، المتأثرة به، بداية بالمؤلف مرورا بالشخصية وصولا إلى القارئ. وبين أفق القارئ وأفق النص، وبين جدلية العلاقة بينهما والعالم الواقعي،

تتضح صورة الافتراضية بالنظر إليها في علاقتها بالخارج النصي، العلاقة الحتمية التي يربط فيها القارئ العالم المتخيل بالعالم الواقعي. أي العالم المصور بالعوالم المرجعية التي يستند إليها في تشغيل دلالات النص أثناء عملية القراءة لأن المرور من التصور إلى إعادة التصوير يتطلب دوما مجابهة بين العالمين، العالم القصصي للنص والعالم الواقعي لدى القارئ (ريكور، 2006، صفحة 239) . ويتم ذلك بالاستناد إلى استراتيجية المقارنة بينهما، إذ يقارن القارئ حالات الحكاية المستقبلية وإمكاناتها المختلفة بعالمه المرجعي الخاص الذي قد عرفه وخبره محاولا أن يدرك إذا كان ما يجري في العمل السردي يستجيب حقيقة لمعايير الممكن الوقوع، وفي هذه الحالة، يقبل القارئ الحالات قيد المعالجة باعتبارها عوالم ممكنة (ابراهيم، 2005) تخضع لذات تراعي قارئا نموذجيا.

3. رؤية المستقبل في أدب الخيال العلمي:

نشط أدب الخيال العلمي و تطور البحث في حقل الدراسات المستقبلية في مناخ مأساوي حمل فيه العلماء و المثقفون أسئلة جوهرية حول عواقب تطور العلم و التكنولوجيا و الاستثمار اللاقانوني و اللاإنساني لمنجزات العلوم و راحوا يرسمون خارطة مستقبل بديل يمسح آثار كوارث القنبلة الذرية على بني البشر في أعقاب الحربين العالميتين و عليه فأدب الخيال العلمي يمكن أن يعمق الشعور بالنمو التكنولوجي و عواقب هذا النمو، كما يستطيع ان يحذرنا بفوائد و أضرار تغيير النظم الاجتماعية حسب أساليب مختلفة و يجعلنا أكثر إحساسا بأن قيمنا نسبية ، و يساعدنا على معرفة الابعاد الخلفية و القانونية و السياسة

للمشاكل الاجتماعية (المترجمين، 1989، صفحة 86) ، في إطار لغة و أسلوب الكتابة الأدبية المعهودة من خلال صياغة المعطيات العلمية صياغة أدبية ، فالعلوم في قصص الخيال العلمي ، ليست هي المستهدفة في حد ذاتها و لكنها تستخدم في طرح فرضيات تمكن من تشخيص و تحليل واقع الإنسان في تعامله المستقبلي الحكيم أو المتهور مع منجزات التقدم العلمي .

4. النبوءة بين أورويل وواسيني:

1.4. النبوءة عند أورويل (رو اية 1984):

عاش جورج أورويل حياة حافلة بالأحداث التاريخية الكبرى؛ حيث عاصر -عن قرب- صعود النازية والفاشية، وشهد الحرب العالمية الثانية، وبداية أفول الإمبراطورية البريطانية، ونهاية الفترة الاستعمارية العريضة التي عاشها العالم منذ القرن الثامن عشر، فكان شاهدًا على إعادة تشكيل عالم ما بعد الحربين وفق قوى وأفكار جديدة. وسط ذلك كان أورويل مؤمنا بمبادئ الاشتراكية الديمقراطية، وشارك في النضال ضد الحركة الفاشية في إسبانيا وكتب أحد كُتبه الحنين إلى كاتالونيا في الثلاثينيات من القرن الماضي؛ تخليدا لنضال الطبقة العاملة في إسبانيا رغم هزيمتها في الحرب ، وعلى الرغم من اعتباره يساريًا إلا أنه كان متخوفا من المد الجارف للستالينية التي انحرفت عن مبادئ الثورة الشيوعية في الاتحاد السوفيتي، وتحولت إلى نظام حُكم شمولي؛ مشابه للأنظمة النازية والفاشية.

يُظهر أورويل السلطة طوال الرواية وهي تعمل على ضبط المجتمع ومراقبة سلوك الأفراد فيه، وتتحكم، وتمارس سلطتها ورقابتها على الأفراد ليس فقط بالعنف والقمع المباشر ضد أي خروج عليها وعلى قيّمها وأخلاقها السائدة؛ ولكن أيضا من خلال عملية إنتاج المعرفة، وإعادة صياغتها دائمًا بما يتوافق مع مصلحتها واستمرار بقائها.

أنت لا تملك سوى تلك السنتيمترات المكعبة داخل جمجمتك (أورويل،2006، صفحة 35) .وهذه الرؤية منسجمة مع توجه الحزب الحاكم: فالتاريخ كله كان بمثابة لوح تم تنظيفه لإعادة النقش عليه بما تستلزمه مصلحة الحزب... التفكير المزدوج (أورويل، 2006، صفحة 14) .بشكل أدبي روائي يكشف أورويلعن ثنائية السُلطة والمعرفة، فلا وجود حقيقي للسُلطة دون المعرفة؛ حيث تتكرر طوال الرواية عباراتٌ على لسان مُمثلي السُلطة توضح حجم

النزوع السُلطوي الشمولي تجاه كل ما من شأنه أن يخلق لدى الفرد استقلالية في التفكير، وقدرة ذاتية على إنتاج المعرفة: إنّ سبب وجودك هنا(المعتقل) يكمن في رغبتنا في مداواة علّتك، لنجعلك سليم العقل .. إننا لا نكترث للجرائم الحمقاء التي اقترفتها. فالحزب لا يهمّه ما تأتيه من أفعالٍ مكشوفة، إنما يهمّه أكثر ما يدور في رأسك من أفكار. نحن لا نحطم أعداءنا فحسب. وإنما نغير ما في أنفسهم (أورويل، 2006، صفحة 298) .اعتبر أورويلفي الرواية أن أول بوادر مقاومة السُلطة هي امتلاك القدرة على الخيال، والقدرة على الحلم بوجود واقع مختلف وحياة أفضل، ومساحة جديدة للتعاطي مع الحياة غير تلك التي تحددها هذه السُلطة، ليرسل رسالة على لسان بطل الرواية ونستون سميث الذي يرى أمام ناظريه كيف يتم تزوير التاريخ ويُغيَّر الماضي ويتم التلاعب بمعطيات الحاضر: إلى المستقبل أو الماضي، إلى الزمن الذي يكون الفكر فيه حراً طليقاً، إلى زمن يختلف في الأشخاص عن بعضهم البعض، ولا يعيش كل منهم في عزلة عن الآخر، إلى زمنٍ تظل الحقيقة فيه قائمة ولا يمكن فيه لأحد أن يمحو ما ينتجه الآخرون.. وإليكم، من هذا العصر الذي يعيش فيه الناس متشابهين، متناسخين، لا يختلف الواحد منهم عن الآخر، من عصر العزلة... تحياتي (أورويل، 2006، صفحة 35) إن ما ذهب إليه جورج أورويل من خلال الصورة التي رسمها عن عالمه الافتراضي يرجع إلى توظيف أدب الخيال السياسي في مد خط الحلم الحداثي إلى أُقصى قدر ممكن لتعرية الحقائق. حيث ركز في الرواية على شكل النزوع السلطوي الخاص الذي طالما اتسمت به ظاهرة الديكتاتورية في القرن العشرين؛ وهو الشكل الشمولي الكلي للديكتاتورية الحديثة؛ وهو ما تمت تسميته أكاديميًا بالتوتاليتارية، وهي ظاهرة نتاج لتطور الحداثة في القرن العشرين بشكل حصري والتي اختلفت من وجوه كثيرة عن تجارب المنظومات الديكتاتورية التي سبقتها من يسيطر على الماضي يسيطر على المستقبل، ومن يسيطر على الحاضر يسيطر على الماضي (أورويل، 2006، صفحة 43) . فلقد اتسمت الديكتاتورية في القرن العشرين بسمة جديدة لم يسبق أن اتسم بها التاريخ الإنساني، وهي القدرة على امتلاك وإدارة نظام يُشَغَّل القدرات التكنولوجية والعلمية والإنسانية للقرن العشرين بهدف السيطرة على الأفراد مثال شاشات الرصد في الرواية ،حيث تصبح السيّطرة هنا هي عملية التحكم الكامل بوعي الأفراد وأجسادهم ووضعهم تحت المراقبة الدائمة، وتوظيفهم كمادة وأدوات لصالح السُلطة. لا يكتفي النظام التوتاليتاري بإخضاع المجتمع

والأفراد وإجبارهم على قبول خطوطه السياسية العامة، إنما يحاول إعادة صياغة المجتمع والأفراد بشكل كامل عن طريق إعادة تشكيل ذاكرتهم الفردية والمجتمعية، وتاريخهم ووعيهم بذواتهم؛ صياغة

يصبح فيه حضور السُلطة حضورًا مطلقًا في تفكيرهم، خالقًا بذلك مجتمعا قائما على الشك والمراقبة والعزْلة والذوبان في السلطة ،إننا لا نحطم الضّال الذي خرج علينا عندما يقاومنا؛ بل إننا لا نقدم أبدًا على تدميره طالما أنه يقاومنا، وإنما نسعى لأن نغيره، ونقبض على عقله الباطن فنصوغه في قالب جديد. إننا نبدد كل ما يضمره من شرور... فنرده إلى صف الحزب (أورويل، 2006، صفحة 300) ، فقصّة التوتاليتاري، ليست قصّة قوة تنتهي بالوصول إلى السلطة والاستيلاء على أجهزة الدولة، إنما هي قصة الهيمنة الشمولية. ان الهدف من الاضطهاد هو الاضطهاد! والهدف من التعذيب هو التعذيب وغاية السُلطة هي السُلطة! هل بدأت تفهم ما أقول الآن (أورويل،2006، صفحة 311) ، هذا هو قانون السلطة والحزب.

4. 2. النبوءة عند واسيني (حكاية العربي الأخير2084):

أما واسيني فيرى أن مرحلة الانحطاط التي نعيشها تحتاج نصوصا تؤلم بواقعيتها أو بمجاورتها الواقع، وتضعنا وجها لوجه أمام ما لا نريد أن نراه من أنفسنا.

فالدكتاتوريات أدت دورها حتى وصلت إلى سقف الدكتاتورية، فجاءت ثورات عارمة أطاحت ببعضها. وهذا الغرب الذي تخلى عنها لم يسمح أيضا للثورات بأن تنمو بشكل منظم. الديكتاتور العربي لم يتمرد يوما على الغرب الذي نصبه أو حماه. ومن أمثلة ذلك ما قامت به بعض البلدان الغربية في بداية الثورات العربية. فقد كانت تراقب من بعيد ماذا يحدث وتدعم الانقلابات بداعي الديمقراطية، كذلك لم يكتب جورج أورويل روايته حول الهزيمة البشرية بل للتنبيه أن الرعب ممكن وأن له وجوه وأقنعة مختلفة.

أما المرجعية التي استعان بها سرد الرواية فهي المرجعية التخيلية ممثلة في رواية جورج أورويل 1984 وهي الرواية التي قدمها عام 1949، عند نهاية الحرب العالمية الثانية وما خلفته من دمار شامل وتفتت للهويات، وتكسير لمركزيات، حيث تنبأ من خلالها: بمصير العالم الذي ستحكمه قوى كبرى تتقاسم مساحته وسكانه ولا توفر أحلامهم وطموحاتهم.

لم يكن تنبؤ جورج أورويل غيبيا، بقدر ما كان ناجما عن استقراء واع وذكي للأحداث التي شهدها زمن الكتابة، لقد أدرك أن العالم مقبل على تفكيك الأوطان وتفتيت الهويات وهيمنة للإمبريالية العالمية ممثلة في الدول العظمى. وقد كان أورويل قد أطلق على روايته في البدء الرجل الأخير في أوروبا وهو ما استلهمه واسيني الاعرج في: حكاية العربي الأخير 2084 و لئن كانت رواية جورج أورويل قائمة على سيطرة الديكتاتورية التي تخنق العالم ممثلة في : بيغ بروذر الأخ الأكبر فإن حكاية العربي الأخير 2084تقوم على هيمنة حلف أميروبا على العالم كقوى طاغية عسكرية عنصرية مبيدة، يمثلها ليتل بروزالذي يرى نفسه الابن الطبيعي للبيغ بروذر، حتى إن واسيني الأعرج لا يتوانى عن العودة إلى رواية أورويل للتناص المباشر معها، واستحضارها، كأنها الأصل الأول الذي انبثقت عنه أحداث رواية حكاية العربي الأخير 2084 : الكثير من الناس الطيبين في القلعة يصدقون أن ليتل بروز من سلالة بيغ براذر (الأعرج، 2084، صفحة 16) بل إن واسيني جعل أحداث روايته استمرارا وامتدادا تاريخيا لما تنبأ به جورج أورويل، لذلك اختار تاريخ 2084 ليكون المئوية الأولى لزمن أحداث رواية 1984، بل تأتي أحداث روايته احتفالا بهذه المئوية ...استعدادا لاحتفال مرور قرن على ميلاد الأخ الأكبر بيغ بروذر، اللافتات الكبيرة التي رسم عليها وجه الأخ الأكبر الذي بعد مائة سنة لم يمت، ولم يفقد نظره، لم يشخ، ملامحه هي هي، بل ازدادت قوة وشبابا... وفيما كان جورج أورويل قد رمز للهيمنة الديكتاتورية العالمية بالأخ الأكبر،فان السرد في حكاية العربي الأخير2084 يُبقى على هذه الدلالة الرمزية. ليؤكد تعاظم قوة الامبريالية واستمرارية حفاظها على شعارات الهجنة والعنصرية والكولونيالية التي لا تؤمن بالسلم إلا كحرب متواصلة تبيد أعداءها، ولا بحرية الشعوب إلا ككائنات خلقت للاستعباد وهو ما يجعلها تطبق عليهم بالجهل، حتى تشد قبضة قوتها. و قد حرص واسيني الأعرج على أن يوظف الشعارات الكبرى لرواية أورويل كمنطق عبثي عدمي، يفضي بالعالم إلى الهاوية، حتى الشعارات التي كانت تخفي ما تريده الكل للواحد والواحد للكل هذا الشعار الكولونيالي الذي يؤكد علاقات الهيمنة والاستعباد، وهو ما تؤديه بقية الشعارات التي تتابع لتفصح عن ذهنية المستعمر: كلنا لك ومنك، مرور مئة سنة على ميلاد بيغ بروذر، الجد الأول الذي علم الجميع ما لم يعلموا، إما نكون أو نكون لا خيار

هذا المنطق الكولونيالي الذي يثبت لرغبة في الهيمنة الكلية و قوة البقاء بفعل بقاء القوة

ويوظف واسيني الأعرج أبطالا وظفهم أورويل من قبيل سميث الذي كان صديق آدم من جذور أزارية (إسرائيلية) والذي ساعد آدم الى أن مات في إحدى المعارك القديمة، بينما نجده هو نفسه عند جورج أورويل، لكنه لا يموت بل يتعرض الى غسل الدماغ، كتمثيل رمزي للموت. وبينما انتهت رواية جورج أورويل بروح انهزامية تنصاع للأخ الكبير، إذ يقول البطل وينستون: وها قد انتصرت على نفسها وصرت أحب الأخ الكبير (الأعرج، 2084، صفحة 400) فان رواية حكاية العربي الأخير 2084 تكشف عن نجاة آدم من الهيمنة الكولونيالية، ونجاته من الموت الجسدي أيضا عندما نجا من القبيلة: إنه حي لكنه ينزف (الأعرج، 2084، صفحة 464) ليدل النزيف على الشعور المميت بالضياع والعدمية والدونية، عندما كان يرى قومه في طريقهم إلى الزوال.

قدمت رواية العربي الأخير قراءة دقيقة للأوضاع السياسية على مستوى العالم العربي أولا وما يعصف به من أهوال، و كذلك وازنت الرواية بين النظري والتطبيق بشأن كل ما يدور من أحداث، وفضحت المطابخ السرية التي تتبنى فكرة إبادة الجنس البشري على الأرض بحجة دفاع كل فئة على مصالحها على الأرض، كذلك نوه الروائي بمسألة في غاية الخطورة، يتعين على الآخر قراءتها بدقة لاستخلاص الدرس و العبرة لما يصلح الحال، وهي أن القوى الكبرى تسعى جاهدة إلى تطوير أدوات القتل والدمار لكوكب الأرض في معظم الأحيان وأن امتلاك القوة لأي كيان يعني فرض إرادته على الأضعف و هذا ما يجري فعلا في عالم اليوم. امتلك الروائي واسيني الأعرج في هذه الرواية قدرة متميزة على تقديم الشخصيات وسماتها وملامحها الفكرية وعلاقاتها وتناقضاتها، كما رصد الوقائع التي تعاقبت وتداخلت لتؤلف كيان الحدث، بحيث رسمت خطا مستقيما واضحا للزمانية والمكانية التي اشتغلت عليها الرواية من الاستهلال إلى النهاية. فضلا عن ذلك، فقد أحسن سبك هذه العناصر لتنتج في نهاية الأمر رؤية تحليلية للحدث الروائي معلنة عن الخزان المعرفي الكبير للراوي. اهتم الراوي في حكاية العربي الأخير بانسجام الشكل الفني للرواية فتحقق بذلك غرض الاهتمام بالخارج وصولا الى الداخل، وكما يقول النقاد إن

الرواية دون شكل تصبح كقطعة الحلوى السائلة (ويليك، 1972) وتمكن الراوي واسيني من وضع الأحداث ضمن الوعي الشخصي للراوي فحلل الحدث تحليلا علميا مقنعا للمتلقي تاركا له مساحة من التأويل يشكل جزء آخر من العمل.

5. المقارنة على مستوى: العنوان _الشخصيات _نهاية العمل و صورة الغلاف:

اسم الرواية حكاية العربي الأخير2084 وسحب واسيني الأعرج فيها على العالم العربي بل على العالم كله أجواء بل تفاصيل كثيرة أحيانا من رواية 1984للبريطاني جورج أورويل. تصور رواية جورج أورويل الكابوسية عالما سيطرت عليه دكتاتورية تخنق أنفاسه وتغير مفاهيمه في الحرية والكرامة ونمط الحياة والعواطف وغيرهما. ورمز هذا الاستبداد هنا هو بيغ براذر أو الأخ الكبير أو الأكبر الذي فرض نوعا ساحقا من عبادة الشخصية على الرغم من أن وجوده الفعلي كإنسان يبدو مشكوكا فيه. وفرضت مراقبة على الناس تحصي أنفاسهم وتسجل كل أفكارهم ومشاعرهم وتجعلهم أشبه بالمنومين مغناطيسيا. وتجري الأحداث في ما كان يعرف سابقا باسم بريطانيا وهو الآن مقاطعة من الدولة الكبرى أوشيانياأو أوقيانوسيا بالعربية وهي خليفة الولايات المتحدة والإمبراطورية البريطانية وواحدة من ثلاث دول كبرى كالتي انقسم إليها العالم. وهو عالم تسوده الحرب الدائمة والمراقبة الحكومية الطاغية ومحو التاريخ القديم وكتابة تاريخ آخر بدلا منه وتنتشر فيه اللافتات الكبيرة التي تقول (بيج براذر يراقبكم). وكانت الرواية قد صدرت سنة 1949. هذا ويجمع النقاد على أن رواية (1984) من أهم أعمال أورويل على الأطلاق، وقد تم ترجمتها إلى 62 لغة، منها العربية والفرنسية والاسبانية والألمانية والإيطالية وغيرها. حتى إن البعض يذهب إلى أنها أفضل الروايات الأوروبية منذ وقتها إلى الآن لأنها تناولت كثيرا من الأزمات التي يعيش الناس تحت وطأتها ويحترقون بنيرانها لاسيما في ظل أنظمة الحكم الشمولي كما جاء في حيثيات فوزها بجائزة بروميثيوس للآداب وغالبا ما تقارن هذه الرواية برواية (شجعان العالم الجديد) لألدوس هكسلي وكلا الروايتين تتشابهان من حيث الدولة التي تمارس هيمنتها وسيطرتها الكاملة على الحياة السياسية والاجتماعية (السيف، 2018). ارتأيت قبل الشروع في المقارنة بين صورتي الغلاف للروايتين أن أقدم تعريفا موجزا للصورة المقارنية .

تعتبر الصورة المقارنية كل صورة تنبثق عن احساس ، مهما كان ضئيلا (بالأنا) بالمقارنة مع الآخر ، (وبهنا) بالمقارنة مع مكان آخر . الصورة هي إذن تعبير أدبي أو غير أدبي ، عن انزياح ذا مغزى بين منضومتين من الواقع الثقافي (باجو، 1997، صفحة 91) ، أي أنه لا يمكن ان تحدث عملية المقارنة دون وعي الأنا في مواجهة الاخر ، كما أننا نجد أن الصورة إذن هي إعادة واقع ثقافي يكشف من خلاله الفرد و الجماعة الذين شكلوه (أو الذين يتقاسمونه أو ينشرونه)، و يترجمون الفضاء الاجتماعي ، والثقافي ،و الإيديولوجي ، و الخيالي الذين يريدون أن يتموضعوا ضمنه (باجو، 1997، صفحة 91) . هنا الصورة من خلال المقارنة يمكن أن تخلق واقعا جديدا داخل الأنا اتجاه الآخر ، كذلك تعبر عن صورة الأنا من خلال تصور للآخر ، فصورة الآخر المختزلة في الأنا لا تعبر بالضرورة عن الاخر فقط ، و إنما تتجاوز ذلك لتكشف صورة الانا نفسها من خلال رؤيتها للآخر المختلف اتسمت واجهة الروائع 1984 بلون رمادي خفيف يعكس لون الغيوم و هذا ما يدل على ضبابية المشهد الذي رسمه أورويل تحت طائلة الأحداث السائدة بعيد الحرب العالمية الثانية حيث أنه كان يدرك بأن القادم سيأتي حاملا معه بذور تلاشي القيم الإنسانية و بلوغها درجة الحضيض من خلال تدويل و فرض الأنظمة الشمولية لمنطقها (ممثلة في الشيوعية و الرأسمالية) و هذا ما جعل العالم ينقسم الى معسكرين ديكتاتوريين أرادا بسط هيمنتهما على العالم وفق رؤية سوداوية متنكرا تحت زي العلمانية آنذاك ، عانت منه الشعوب طيلة الفترة و هذا ما جعل من أوروبا ميدانا طيلة الفترة التي أعقبتها للصراعات الإيديولوجية و هذا ما حذر منه أوريل من خلال كتابة عنوان روايته باللون

الاحمر الذي يمثل الدم ، بمفهومه السلبي ورمز به للأزمات و الحروب التي أعقبت الفترة التي عاش فيها ، فقد تنبأ بمستقبل مظلم و رسم أفقا يتسم باليأس و السوداوية و فقدان الأمل و الخضوع و تقبل قرارات الأنظمة الظالمة و مثال ذلك رئيس الإتحاد السوفياتي سابقا ستالين الذي جسد في غلاف الصورة بملامح الرجل الصلب الذي يبتسم للحياة ذو النظرة الثاقبة المليئة بالحقد و الكراهية على عكس غلاف رواية حكاية العربي الأخير لواسيني رغم حملها لنفس اللون الأحمر الداكن في الأعلى الذي يعكس الوضع العربي المأساوي المتمثل في الأزمات و الصراعات الداخلية و الحروب الاهلية و تلاشي الهوية العربية في ظل وجود

الجماعات الإرهابية إلا أنه كتب العنوان باللون الأبيض الذي يرمز للسلام و ينشر بصيصا من الأمل من خلال ظل الرجل الأبيض الذي جاء في أعلى الصورة الواقف على قدميه رغم المعاناة إلا أنه أبى الاستسلام و الخضوع للأنظمة الظالمة فهو يرمز للإنسان العربي المتشبث بالحياة و التفاؤل إلى اخر رمق من حياته . أما بشاشة وجهه الملائكي و ابتسامة عينيه اللتين تشعان بالأمل رغم الألم الداخلي الذي يخنق بجوه الفاسد في حنجرته ، طمستا الحالة النفسية المرهقة ، و كذلك تأمله البعيد من خلال وضع راحة يده أسفل الذقن يدعو الى ضرورة فهم الأنا و الأخر ، و تأسيس مجتمع يشع بالحياة التي ترمز لها نوافذ العمارات في خلفية الصورة . كتب واسيني اسمه على واجهة غلاف الرواية بالأحمر الزهري و كأني به يقول للعالم أجمع أنا هنا ، أنا موجود، لا زلت صامدا أنشد الحياة في ظل السلام لأنقش إسمي في ذاكرة الأخر و سيبقى خالدا على مر التاريخ ، حاملا هم كل إنسان عربي و داعيا الى نبذ العنف و حوار الأديان و التعايش السلمي محافظا على هوية و شرف الرجل العربي الأخير.

6. خاتمة:

لقد أفضت بنا هذه الدراسة المقتضبة إلى رصد نقاط كثيرة مشتركة جمعت بين الكاتبين فكلاهما كان يحمل من القيم الإنسانية ما يجعل من قلمه سلاحا في وجه قوى الظلم والقهر والاستبداد، بصرف النظر عن اختلاف البيئة والثقافة والعصر الذي عاشا فيه.

كما بيّنت قراءتنا بأن النبوءات التي حذر منها أورويل قد تحققت في معظمها على أرض الواقع، إننا نعيش في العصر الذي تحدث عنه أورويل، كذلك واسيني حذرنا من أمور وقعت قبل الوصول إلى التاريخ الذي حدده في عنوان روايته، ومن ذلك الصراعات الطائفية... كذلك توصلنا إلى أن رواية العربي الأخير 2084 تستند الى رواية جورج أورويل 1984 من حيث العنوان حيث أن أورويل وضع في البداية

عنوان الرجل الأخير في أوروبا ثم صدرت بعنوان 1984 أبرزنا كذلك تشابه بعض ملامح الشخصيات وتسميات الأماكن مع اختلاف بسيط. كما تجلت الهيمنة الديكتاتورية في صورة الأخ الاكبر هذا الرمز الذي وظفه جورج أورويل في روايته ليدل به على الرقابة الشاملة على حركات الأفراد وسكناتهم وأنفاسهم، بما يضع حدا نهائيا لفكرة الحياة الخاصة. أما واسيني فإنه يبقي على هذه الدلالة الرمزية ليؤكد تعاظم القوة الإمبريالية واستمرارية حفاظها على شعارات العنصرية والكولونيالية التي لا تؤمن بالسلم إلا كحرب

متواصلة تبيد أعداءها. كما أثبتنا التأثر الواضح لواسيني بأورويل وذلك في كونه أكد بأنه قرأ رائعة 1984 وخط على منوالها رواية حكاية العربي الأخيرة 2084مع تغيير في الأحداث وإسقاط على المجتمعات العربية، وهذا التأثر يدخل في صميم الدرس الأدبي المقارن.

قائمة المصادر و المراجع:

1. ابراهيم, ع. ا. (2005). التلقي و السياقات الثقافية. المغرب: المركز الثقافي العربي.
2. ابن منظور. (13 01, 2018). لسان العرب. تم الاسترداد من المعاني: www.almaany.com
3. آخرون, ر. س. (1996). آفاق أدب الخيال العلمي. (ح. ح. شكري, Trad.) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
4. استنوارين و رينيه ويليك. (1972). نظرية الأدب. (محي الدين صبحي مراجعة د: حسام الخطيب، المترجمون) دمشق: المجلس الاعلى لرعاية الفنون و الاداب و العلوم الاجتماعية مطبعة خالد الطرابيشي.
5. الأعرج, و. (2084). حكاية العربي الأخير. الجزائر: دار موفم للنشر.
6. الدين, ك. ز. (2002). الزمان الدلالي. مصر: دار غريب للنشر.
7. العكيمي, ع. ا. (2010). الاستشراف في النص. لبنان: مؤسسة الانتشار العربي.
8. المترجمين, م. م. (1989). أدب الخيال الثقافة الأجنبية. دار الحرية للطباعة.
9. النهانوي, م. ع. (1996). كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم. (ع. ا. الخالدي, Trad.) لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
10. أورويل, ج. (2006). 1984. الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي.
11. دانييل هنري باجو. (1997). الأدب العام و المقارن. (غسان السيد، المترجمون) دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
12. شريف, ن. (1997). الدور الحيوي لأدب الخيال العلمي في ثقافتنا العلمية . المكتبة الأكاديمية .
13. عواطف عبد الرحمن. (1988). الدراسات المستقبلية الاشكاليات و الآفاق. الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب.

14. لالاند, ا. (2001). الموسوعة الفلسفية. لبنان: منشورات عويدات.

15. محمد بن عبدالله السيف. (2018). المجلة العربية. المملكة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية.

16. معجم اللغة العربية المعاصر. (13 01, 2018). تم الاسترداد من المعاني: www.almaany.com

17. هايدغر, م. (1993). السؤال عن الزمان. (س. أدهم, Trad.) لبنان.

18. يعقوبي, م. (1979). معجم الفلسفة. الجزائر.